مفهوم الجملة العربية من منظور لساني وصفي

The concept of the Arabic sentence from alinguistic and descriptive perspective

صفية سلطان[1]

جامعة الشهيد حمه لخضر (الوادي)، soltane-safia@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ القبول: 2025/09/19 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص: استمد اللغويون العرب المحدثون منهجهم البنيوي الوصفي من المنهج اللساني الوصفي الغربي وسلموا به، إلّا أنّ الوصفية العربية لم تكن خالصة موحدة؛ وذلك لاحتوائها على جوانب معيارية وأخرى مقارنة. أمّا تبني هذا المنهج في الدراسات اللغوية فهونابع من شعور النحاة العرب المحدثين بحاجة العربية إلى وصف يحررها من الأفكار الفلسفية ومبدأي العلة والعامل؛ من خلال ما تبنوه من أنظار غربية حديثة. ونحا هؤلاء النحاة، في دراسة النحوالعربي وفقا لهذا المنهج، منحيين: الأول يعرض لمدرسة التحليل الشكلي، والثاني يزاوج بين مقولات الوصفيين ومعطيات مدرسة فيرث السياقية؛ فتعددت بذلك الآراء وتفاوتت في تعريف الجملة. وفي ظل هذا المنهج نذكر رؤية كل من مُحَمَّد الشاوش، إبراهيم عبادة وتمام حسان في تعريف الجملة.

كلمات مفتاحية: الجملة العربية؛ المنهج اللساني؛ مُحَمَّد الشاوش؛ إبراهيم عبادة؛ تمام حسان.

Abstract: Modern Arablinguistsderivedtheir descriptivestructural approachfrom the Western descriptive linguisticapproach and recognizedit , but Arabic descriptive was not pure and unifiedbecauseitcontained normative and comparative aspects. As for the adoption of thisapproach in linguisticstudies, it stems from the feeling of modern ArabgrammariansthatArabicneeds a descriptinthatfreesitfromphilosophicalideas and the principles of cause and factor, throughwhattheyadoptedfrom modern Western perspectives.In the study of Arabicgrammaraccording to thisapproach, thesegrammarians have twoapproaches : the first presents the school of formalanalysis, and the second collects the statements of the descriptive and the data of the Firth contextualschool; In light of thisapproach, wementin the vision of Muhammad Al-Shawish, Ibrahim Abada and Tammam Hassan in the definition of the sentence.

Keywords: theArabicsentence; the linguistic method; Muhammad Al-Shawish; Ibrahim Abada; Tammam Hassan.

المؤلف المرسل: صفية سلطان، **الإيميل**:soltane-safia@univ-eloued.dz

1. مقدمة:

اعتنت الدراسات اللسانية الحديثة اعتناءً كبيرًا بتحليل اللغة من أجل استخراج مكوناتها في مختلف المستويات اللسانية، كما خصّت الجملة بحيز كبير من تلك العناية، إذ اتجه اللغويون منذ سنة1957 بصورة متزايدة إلى البحث في قضايا الجملة، فقد كانت الموضوعات المتعلقة بالأصوات، وبناء الكلمة قد حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والعناية علىمدى قرن كامل.

ولوحظت العديد من الثغرات في بناء الجملة، وهذا ما جعل ثلّة من الباحثين يتجهون لدراستها، والبحث في قضاياها وإقامة فرضيات ونظريات متعددة عليها سواء عند الباحثين الغربيين أو لدى الباحثين العرب الذين سنعرض فيما سيأتي لتصوراتهم للجملة من حيث تعريفها.

لقد اهتم الدارسون العرب المحدثون بالجملة دراسةً وفهمًا، والنظر إليها باعتبارها الخلية الحية في جسم اللغة عندما تبرز إلى حيز الوجود. إلاّ أن مفهوم الجملة عندهم يتعدّد بسبب انتمائهم إلى مدارس ومذاهب لسانية شتى، فبعضهم متأثر بالاتجاه الوصفي، وبعضهم بالاتجاه التوليدي التحويلي، وآخرون متأثرين بنظرية النحو الوظيفي. وما يعنينا في هذه الورقة رأي أصحاب الاتجاه الوصفي. لكن قبل البدء بالحديث عن مفهومها عند اللغويين العرب المحدثين، حري بنا تقديم لمحة عن مفهومها عند دارسينا اللغويين القدماء.

2.مفهوم الجملة في اصطلاح النحويين:

يظهر من خلال استقراء نصوص كثيرة من التراث اللغوي القديم، أنّ مفهوم الجملة كان واردًا عند النحاة العرب، إذ تحفل كتب النحو العربي ـ لاسيما المتأخرة منها ـ بمصطلح الجملة، وعلى الرغم من كثرة تردد هذا المصطلح لم يتفق النحاة على معنى محدد لها، بل تباينت أقوالهم في تعريفها، وفي الموازنة بينها وبين الكلام.

ويرجّح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنّ الأخفش تلميذ سيبويه وأستاذ المازني قد يكون أول من ابتدع مصطلح الجملة مقابلاً للكلام المستغني لأنّه أشار في كتابه (القوافي) إلى أبرز مكوّن لمفهوم الجملة ألا وهوالفائدة، ويظنّ أنّه انتقل عبر المازني إلى المبرد(صالح، 2012، صفحة 291) .ويكون المبرد (ت 285هـ) بهذا ثاني من استخدم الجملة مصطلحاً بعد أن انتقل إليه عن طريق المازني، قال في المقتضب: «إنما كان الفاعل رفعاً، لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها، وتجب بها الفائدة للمخاطب»(المبرد، 1994، صفحة 146)، وقد استخدم مصطلح الجملة أيضًا تلميذه ابن السراج (ت 316هـ) فقال:« وأمّا ربطه جملة بجملة فنحوقولك:

إن يقم زيد يقعد عمرو»(السراج، 1996، صفحة 43)، وهو بهذا يفرق بين الجملة الفعلية(فعل+فاعل)، والجملة الاسمية(مبتدأ+خبر).

كما ورد في تعريف الجملة عند **ابن جني(ت392هـ)** أنّها كلّ كلام مفيد، مستقل بنفسه. وأنها على ضربين: جملة مركبة من مبتدأ وخبر، وجملة مركبة من فعل وفاعل»(جني، 1988، صفحة 30)، وحري بالتنويه أنّ مفهوم النحاة القدامى للجملة يجاري منهاجهم النحوي العام، وهو منهاج شكلي يفصل بين المعاني النحوية والمعاني المنطقية، فالفاعل ـ مثلًا ـ هومارتبط بالفعل بعلاقة إسنادية سواء أكان فاعلًا على الحقيقة أم لم يكن، نحو(أكل الطفل) و(تحطّم الزجاج)، وعليه فإنّ (الطفل) و(الزجاج) عندهم سواء في أن يكون كلّ منهما فاعلًا(الحلواني، المغرب، صفحة 211).

ويقول الجرجاني(ت471هـ) في الجمل: «فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحوخرج زيد يسمى كلاما ويسمى جملة»(الجرجاني، 1972، صفحة 40)، وجاء في الأنموذج للزمخشري(ت538هـ) أنّ «الكلام مؤلّف إمّا من اسمين أسند أحدهما إلى الآخر نحوزيد قائم وإمّا فعل واسم نحوضرب زيد، ويسمى (كلاما) وجملة»(الزمخشري، 1999، صفحة 15).أمّا ابن يعيش(ت643هـ) فيرى أنّ «الكلام عبارة عن الجمل المفيدة، وهوجنس لها»(يعيش، (د ت)، صفحة 21)، من خلال ما سبق، نلاحظ أنّ تعريف الجملة يوافق في كثير من الأحيان تعريف الكلام ويقوم على استقلال اللفظ وتمام المعنى وحصول الفائدة، وهذا ما يقودنا إلى ضرورة التطرق إلى توضيح وجوه التفاضل والتفاصل بين مصطلحي الكلام والجملة.

*** بين مصطلحي الجملة والكلامعند القدماء:**

درج النحاة العرب على أنّ استعمال المصطلح(كلام) للدلالة على الشكل اللغوي القائم على الإسناد سواء استغنى واستقل بنفسه أوتعلّق بغيره ولم يستغن، ورغم أن كتاب **سيبويه(ت 180هـ)** يعد تمثيلا ناضجا للجهود النحوية في تلك الفترة ، إلا أن مصطلح "الجملة" لم يظهر فيه، وإنما وردت في عدة مواضع منها بمعناها اللغوي(سيبويه، 1991، صفحة 119)، بيد أنه استخدم مصطلح الكلام للتعبير عن موضوعات نحوية متعددة منها ما يتحدد بمفهوم الجملة(النهاري، 2012، صفحة 14).

بل استطاع **ابن جني (ت392هـ)** أن يستنبط تعريفاً محدداً للكلام بمعنى الجملة عند سيبويه يقول: «قال سيبويه: واعلم أن "قلت" في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها، وإلا يحكي بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً ففرق بين الكلام والقول كما ترى... ثم قال في التمثيل: نحو"قلت زيد منطلق" ألا ترى أنه يحسن أن تقول: زيد منطلق، فتمثيله بهذا يعلم منه أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مستقلاً بمعناه»(جني ا.، 1952، الصفحات 18-19).

وبالرّغم من أنّ اللغويين العرب كانوا يعرّفون الجملة تعريفًا يكاد يكون تعريف الكلام نفسه إلاّ أنّ صاحب شرح الكافية يفرق بينهما بقوله: «والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أولا... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصود لذاته. فكل كلام جملة ولا ينعكس»(الاستربادي، 1996، صفحة 33)، فكلاهما يتضمن الإسناد المشروط والمقرون بالقصد.

ونستطيع أن نميز عند النحاة الخالفين من بعد اتجاهين في التمييز بين الجملة والكلام: أحدهما يرى أن الكلام غير الجملة والثاني يراها إياه؛ فالاتجاه الأول: يمثله ابن جني والرضي على خلاف بينهما، فابن جني يرى أن «الكلام جنس للجمل التوام مفردها ومثناها ومجموعها، كما أن القيام جنس للقومات مفردها ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام»(جني ا.، 1952، صفحة 34).وقد تابع **ابن هشام (ت 761هـ)** الرضي في رأيه فاعتدّ الكلام أعمّ من الجملة إذ شرطه الإفادة بخلافها، ودل على ذلك بقوله: «ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط وجملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام»(الأنصاري، 1998، صفحة 419).

أما الاتجاه الثاني: فيمثله الزمخشري في المفصل، و**ابن يعيش** في شرح المفصل، فالكلام عندهما جملة ولا فرق. يقول **الزمخشري(ت 538هـ)**: «الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلاّ في اسمين كقولك: زيد أخوك وبشر صاحبك، أو فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، وتُسمى الجملة»(الزمخشري، المفصل في علم العربية، 2004، صفحة 32)، وظاهر القول أن مطلق الإسناد يسمى جملة ويسمى كلاما ولم يشترط رحمه الله تمام الفائدة ولا حسن السكوت ، فكل إسناد بين فعل وفاعل أو مبتد أو خبر يسمى عنده كلاما وجملة، فـ(زيد قائم) و(زيد يقوم)و(إن قام زيد) كل ذلك عنده كلام وجملة.

ويقول **ابن يعيش(ت643هـ)**:«اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، ويسمى الجملة نحو: زيد أخوك، وهذا معنى قول صاحب الكتاب: المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى»(يعيش، (د ت)، صفحة 20)، فالشارح (ابن يعيش) يشترط الإسناد في الجملة. وقد حاول ابن يعيش أن يتأول كلام الزمخشري ليربط المفهوم بالفائدة إضافة إلى الإسناد، فقال: « فعرفك بقوله: (أسندت إحداهما إلى الأخرى) أنه لم يرد مطلق التركيب بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لأحدهما تعلق الأخرى على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر وتمام الفائدة»(يعيش، (د ت)، صفحة 20).

فإذا انتقلنا إلى المحدثين من اللغويين العرب وجدنا**عباس حسن** وهو ممّن يتبعون القدماء، يقول: «الكلام (أو الجملة) ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل»(حسن، (د ت)، صفحة 15)، ويلاحظ أنه يستخدم مصطلح الكلام كما استخدمه القدماء في مقابل الجملة.

غير أن **الدكتور عبد الرحمن أيوب** يرى أن النحاة لم يقصدوا بالكلام النماذج التركيبية للجمل، بل الأمثلة الواقعية لها، فهي وحدها التي تدل على معان تفيد فائدة تامة، فمن المسلم به أن النموذج (اسم مسند إليه + اسم مسند) لا يفيد فائدة لغوية كما تفيد عبارة (مُحَمَّد قائم) التي هي تطبيق لهذا النموذج ويخلص إلى أن النحاة قد قصدوا بالجملة ما يقصد به علماء اللغة بعبارة (الحدث اللغوي)(الحديدي، 2016، صفحة 74).

وإذا كان بعض علماء اللغة المحدثين يعتد الجملة نموذجاً تركيبياً للكلام فإنهم يستعملون عادة مصطلح «الجملة» للنموذج التركيبي والمثال التطبيقي عليه، ولا يطلقون على المثال مصطلح الكلام، أمّا الدكتور **إبراهيم أنيس** يعرف الجملة بقوله : «إن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»(أنيس، 1966، الصفحات 276-277)، ونلاحظ من خلال هذا التعريف أنه يجمع بين معياري الشكل والمضمون وأنه يجيز أن تتركب الجملة من كلمة واحدة أي أن فكرة الإسناد ليست لازمة لتركيب جملة صحيحة، وأنه يسوي بين الجملة والكلام، وقد ارتضى **الدكتور مهدي المخزومي** هذا التعريف فذكره بنصه دون أن يشير

إلى صاحبه، ولكنه ذكر أن الجملة قد تخلو من المسند إليه لفظاً أومن المسند لوضوحه وسهولة تقديره(المخزومي، 1986، صفحة 33).

ويفرق صاحب كتاب إعراب الجمل وأشباه الجمل بين الكلام والجملة، يقول: «الكلام هو القول الدّال على معنى يحسن السكوت عليه»(قباوة، 1989، صفحة 15)، ويرى أنّ الكلام يتكون من: المفرد(فعل، اسم، حرف)، وشبه الجملة(الظرف، الجار والمجرور)، والجملة(الفعل وفاعله، المبتدأ وخبره، أداة الشرط مع جملتيه)(قباوة، 1989، صفحة 15). وهو بهذا جعل الكلام أعمّ من الجملة؛ إذ الجملة عنصر من عناصر الكلام. نخلص من تتبعنا لمفهوم الجملة في الدرس النحوي القديم بدءًا بسيبويه وانتهاءً بابن هشام إلى أنّ الكلام على الجملة هو ذاته الكلام في المسند والمسند إليه، أما حدّها فقد استعاضوا عنه بحدّ الكلام.

3.تعريف الجملة عند مُحَمَّد الشاوش:

يتجه **مُحَمَّد الشاوش** في بحثه الموسوم بـ **(ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية)** إلى اعتماد مفهوم المكونات المباشرة، والتزام التدرج في مستويات التركيب، ويعرف الجملة في ذات البحث بقوله: «ملفوظ جاء مستقلا عمَا قبله وعما بعده استقلالا صناعيا تركيبيا»(الحديدي، 2016، صفحة 115)، يركز الباحث في هذا التعريف على وجوب توافر شرط الاستقلال التركيبي وعدم ورود الملفوظ –باعتباره كلامًا منجزًا– عنصرًا من عناصر مركب أكبر، أي يعبر عن معنى مستقل، كما يشير إلى خطية تركيب الجملة من خلال عبارة (عما قبله وعما بعده)، إذ إن في الجملة علاقات خطية تُقام بين مفرداتها فلابد للفعل من فاعل، ولابد للمبتدأ من خبر(الحديدي، 2016، صفحة 116)، ما يلاحظ هنا أن مفهوم **الشاوش** للجملة أقرب ما يكون إلى **مفهوم بلومفيلد** الذي يشترط هو أيضا الاستقلال في تحديده للجملة، وبهذا يكون الجامع بين المفهومين هو التركيز على الجانب الشكلي للجملة، واستبعاد المنحى الدلالي، إذ الجملة عندهما شكل دون مضمون.

يعدّ **مُحَمَّد الشاوش** شبه الجملة جملة غير مستقلة، يقول فيه: «مركبا لفظيا يتوفر فيه شرط الإسناد ولم يتوفر فيه شرط الاستقلال لوروده ضمن تركيب أكبر لذلك لا تحلل شبه الجملة في المستوى الأول من التحليل إنما يقع ذلك في مستوى ثان أو ثالث أو غيرها»(شنوف، 2007، صفحة 125)؛ بمعنى أنه يشترط الإسناد في شبه الجملة، كما يرى أنه يقوم على التبعية وذلك لكونه جزء من تركيب أوسع، وهو بذلك يشير إلى« تشعب الجملة وتعدد مستويات التركيب فيها عن طريق ما أسماه (التعدد الأفقي) الذي يقوم على اجتماع عناصر متعددة ذات وظيفة واحدة بواسطة العطف»(السيد، 2020، صفحة 71).

وينبّه **الباحث** إلى أن الجمل الواقعة بعد الفعل (قال) هي أشباه جمل متعددة تربطها علاقة عطف وليس استئناف، وذلك لاشتراكها في نفس الوظيفة؛ أي مقول القول(السيد، 2020، صفحة 73)، لكنه «يستبدل بمصطلح (شبه الجملة) مصطلحا آخر جديدا هو(جملة صغرى) أو(جملة فرعية)»(موسى، 1992، صفحة 219). والعطف متصل باجتماع عناصر متفقة في الوظيفة على مستوى الجملة الواحدة، في حين يكون الاستئناف متصلا بجمل مستقلة لها الوظيفة نفسها في مستوى الخطاب(السيد، 2020، صفحة 73).

وعليه يرى **الشاوش** أن المكونات في الجملة قد تكون: لفظ واحد، أو تركيب جزئي يقوم على التبعية وانعدام الإسناد، أو شبه جملة يقوم على التبعية ووجود الإسناد، أو جملة تقوم على الاستقلال ووجود الإسناد(السيد، 2020، صفحة 68).

4.تعريف الجملة عند إبراهيم عبادة:

لما درس **مُحَمَّد إبراهيم عبادة** في كتابه (**الجملة العربية: مكوناتها، أنواعها، تحليلها**) مفهوم الجملة، تطرق في المبحث الثاني من الباب الأول إلى تبيان الفرق بين الكلام والجملة عند النحاة القدامى، فخرج بنتيجة ـ كما أوردنا سابقًا ـ أنّهم اتجهوا في مفهومهم للجملة اتجاهين: الأول يقول بترادف مصطلحي الكلام والجملة لاستقلال كلّ منهما بنفسه في إفادة معنى تام.

والثاني ينفي هذا الترادف ويجعل بين الكلام والجملة عموم وخصوص؛ إذ الكلام هوما أفاد إسنادًا مقصودًا لذاته، أمّا الجملة فهي إسناد قد لا يقصد لذاته فيكون خبرًا أونعتًا، وبمعنى آخر«يرى أن الفرق الجوهري بين الاتجاهين أن أصحاب الاتجاه الأول ربطوا في تحديد أبعاد الجملة بين البنية التركيبية والمعنى، فالبنية التركيبية وتمام المعنى هما معيارا الجملة؛ فبهما يحدد بدؤها ونهايتها.

فإذا لم يتم المعنى لا تسمّى البنية التركيبة جملة، في حين أنّ الاتجاه الثاني حدّد أبعاد الجملة في ضوء البنية التركيبية مكتفين بالعلاقة النحوية القائمة بين عناصر البنية، وحصروها في علاقة الإسناد»(الحديدي، 2016، صفحة 117)، غير أنّه لا يُفهم من هذا خلو البنية التركيبية من معنى ومضمون، لكن لا يلزم أن يكون المضمون الكلّي الّذي قصده المتكلم، فيكفي أن يكون مضمونًا جزئيا يصلح أن يكون لبنيته التركيبية مضمونًا كليًّا مستقلًا قائمًا بذاته(الحديدي، 2016، صفحة 117).

وبذلك ينتهي المؤلّف إلى أن القدامى قد اختلفوا في تحديد بداية الجملة ونهايتها، وينقل لنا أمثلة عن ذلك الاختلاف محاولًا تعليله باختلاف النحاة في الاعتداد بالمعنى في مستوى التحليل، فيقول: «فالآراء تختلف في تحديد أبعاد الجملة نظرًا لعدم تحديد المعنى المستقل الذي يحسن السكوت عليه»(عبادة، 2001، صفحة 26).

في ذات الفصل يحاول **الدكتور إبراهيم عبادة** ربط حدود الجملة بالأركان التي تسهم في تمام معناها، فيظهر أنّ الجملة تبدأ من مسند ومسند إليه كما قال النحويون ولكنّها لا تنتهي إلاّ عندما يستوفي هذان الركنان متعلقاتهما(عبادة، 2001، الصفحات 29-33)، غير أنّه يعود ليعدّ الفعل وما يقوم مقامه (المصدر، المشتق) «هومحور الجملة أو نواتها من الناحية التركيبية، وحول الفعل تدور متعلقات، أو تسبح في مجاله لدلالته على الحدث ، وهذه المتعلقات هي: من صدر عنه، ومن وقع عليه، وزمانه، ومكانه، ودرجة وقوعه، والحال التي تم فيها، وعلته، وعدده.

وإذا ظهر في متعلقات الفعل فعل آخر كان محورا ثانويا لمتعلقات تنجذب إليه، وهذا المحور الثانوي بمتعلقاته يدور في فلك المحور الأول الأم للجملة»(عبادة، 2001، صفحة 34)، ويوضّح ذلك باعتماد

مثال مكوّن من جملتين فعليتين(زرت أمس رجلًا يقرأ القرآن صباحًا قراءة صحيحة خاشعة طاعة لله)، حيث إنّ محور الجملة الأم للفعل(زار) يدور في مجاله ثلاثة عناصر: الفاعل(ت)، ظرف الزمان(أمس)، المفعول به(رجلًا).

في حين المحور الثاني للفعل(يقرأ) يدور في مجاله ستة عناصر: الفاعل المفهوم(هو)، المفعول به(القرآن)، الزمان(صباحًا)، درجة الفعل(قراءة صحيحة)، الحال التي تم فيها(خاشعًا)، العلة(طاعة الله)(عبادة، 2001، الصفحات 34-35).

بعد ذلك يرتأي**المؤلّف** تعريفًا للجملة مُفاده: «أنّها أكبر وحدة نحوية تقبل التحليل»(عبادة، 2001، صفحة 33)، ولعلّه متأثر في مفهومه هذا للجملة بالدراسات الغربية، فهوتعريف شبيه بما ذهب إليه جون ليونز الذي يعرّف الجملة بأنّها: «أكبر وحدة يمكن أن تخضع للتحليل النحوي»(دفة، 2008، صفحة 18).

ولعلّ **عبادة** قد شعر بأنّ تعريفه للجملة يعتريه شيء من العموم فأراد أن يفسّره أكثر، يقول: «فالفعل ومتعلقاته والاسم وتوابعه المذكورة في النّص تمثل الجملة، وليس الفعل والفاعل أونائبه أو المبتدأ والخبر حدهما»(عبادة، 2001، صفحة 33)، فكأنّه في مفهومه للجملة يجنح إلى رأي أصحاب الاتجاه الأول الذين يرون أنّ الجملة هي البنية التركيبية التي نواها المتكلّم ولها معنى.

5.تعريف الجملة عند تمام حسان:

إذا اتجهنا إلى الدكتور **تمّام حسّان**، الذي يمثل الاتجاه الشكلي في شقّه الوظيفي، نجده ينظر إلى اللغة نظرة الباحث بمنهج غربي حديث، بعد أن تناول أبحاث القدماء نقدًا وإعادة قراءة مرجحًا المنهج الوصفي لأي دراسة نابذًا في ذلك المعيارية التي تقود إلى الحكم على اللغة بالخطأ والصواب من حيث الاستعمال اللغوي؛ وهو بذلك يتفطّن إلى شكوى الدّاء في النحو العربي، إذ إنّ موطنها المنهج لا جزئيات النحو.

وأساس العلاج ـ في نظر **تمام حسّان** ـ هوأن يُعتمد على المنهج الوصفي أولًا وأخيرًا(حسان، 2000، الصفحات 11-12)، فقد أقام رؤيته النحوية على المدرسة السّياقية عند فيرث من خلال كتابه(**اللغة العربية معناها ومبناها**)، وكتابه(**اللغة بين المعيارية والوصفية**)، متبنيًا منهجا وصفيا وظيفيًا حيث نقد نظرية الإعراب والعوامل، فكان اعتماده على هذه النظرية السياقية القائمة على المعنى، إذ يرى أن كل طريقة تركيبية تتجه إلى بيان معنى من المعاني الوظيفية في اللغة(حسان، 2000، صفحة 57)، فينظر إلى الجملة نظرة معنوية سياقية وصفية.

وجعل المعنى ينقسم إلى فروع ثلاثة: المعنى الوظيفي(ويشمل النظام الصوتي والصرفي والنحوي) والمعنى المعجمي والمعنى الدلالي أو الاجتماعي، مصرحًا:«إنّ المعنى على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي هو معنى وظيفي أي أنّ ما يسمى المعنى على هذا المستوى هوفي الواقع وظيفة المبنى التحليلي ثمّ يأتي معنى الكلمة المفردة(المعنى المعجمي) وما يكون بمجموع هذين المعنيين مضافا إليهما القرينة الاجتماعية الكبرى التي نرتضي لها اصطلاح البلاغيين(المقام context of situation) وكل ذلك يصنع المعنى الدلالي»(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 182).

يُعدّ ما جاء في كتاب **تمّام حسّان** الموسوم (**باللغة العربية معناها ومبناها**«أجرا محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تُجرى بعد سيبويه وعبد القاهر»(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 10)، إذ إنّ الغاية في هذا الكتاب كما يقول صاحبه في المقدمة «إلقاء ضوء جديد كاشف على التراث اللغوي العربي كلّه منبعثًا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة»(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 10).

والجدير بالذكر أننا لا نجد للجملة تعريفا عند اللغوي المحْدث **تمّام حسّان** لا في هذا المؤلّف ولا غيره من المؤلّفات ولعل ذلك لكثرة التعريفات الواردة في الجملة قديما مما جعله يكتفي بتحليلها وإعادة ترتيبها معتمدا في ذلك المنهج الوصفي حسبما جاء في مقدمة كتابه(الحديدي، 2016، صفحة 105). إرتأى **تمام** أن يتجاوز وضع تعريفا للجملة لكونها كثيرة التناول بالدرس والتعريف في القديم، ويرى أن

الأجدر بالمحدثين هو إعادة تحليلها ووضعها بصورة حديثة، بناء على ما جاء في النظام اللغوي القديم من ثغرات برصدها وتجاوزها بالبديل.

ينطلق **الدكتور تمام حسان** في بناءه لنظرته تجاه الجملة، من فكرة كون النحاة في دراستهم للجملة لم يراعوا معناها في عمومه ولا من ناحيتها الوظيفية، ولا الدلالة الاجتماعية التي تنبني على المقام في تحديد المعنى، ويرى أنّ عمل النحاة الذي يقوم على أساس الترابط بين أجزاء الجملة معنويا ومبنويا جاء متفرقا لا مجموعًا في نظام كامل(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 16)؛ أي أنّ ما قام به **تمام حسان** إنما أساسه تجنب التفرق والتشتت الذي يحكم الدرس النحوي القديم وكذا اعتماد هذا الأخير على الشكل في تحديد الوظيفة النحوية والدلالية للكلمة داخل الجملة.

أمّا **تمام** فيرى أنّ الجملة لا تتكوّن أبدًا ما لم يراع في تكوينها إلى الصوت أو علم الأصوات، ثمّ الصرف وتقسيمات الكلم والعلائق بين هذه الأخيرة، ثمّ المعنى المعجمي لكلّ لفظة. ولا تتكوّن جملة مفيدة مالم يُنظر إلى المقام أو السيّاق الذي قيلت فيه ؛ أي بالنّظر إلى المعنى من شقيه.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكّر بأنّ العلاقة بين الصرف والنحو وفق ما صرّح به **تمّام** ـ هي علاقة مزيج سائل يصعب الفصل بينهما، وهذا ما استنتجه من بحوث الأقدمين المتمرسين في دراسة اللغة، حيث يقول في هذا الصّدد: «السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنّه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو فيعالجون كلاًّ منهما علاجًا منفصلًا ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف»(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 178)، أي أن كتب النحو في تراثنا اللغوي لا فصل فيها بين علمي النحو والصرف، وهذا ديدن علمائنا القدامى.

ويركّز **شيخ اللغويين العرب** في تحديده للجملة على العلاقات السياقية وعلى مفهوم التعليق الذي أفاده من نظرية النّظم عند **عبد القاهر الجرجاني** في مُصنّفه **دلائل الإعجاز**، حيث يرى أن التعليق هوالإطار الضروري للتحليل النحوي(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 189). ولما

كان **تمّام حسّان** موليًا اهتمامًا بالغًا بالمعنى واتجاهه البلاغي، فإنّ كتابه (**اللغة العربية معناها ومبناها**) جاء خاليا من معلومات واضحة عن تركيب الجملة العربية.

كذا انعدم فيه أيّة إشارة إلى مفهوم البساطة والتركيب في الجملة(بومعزة، 2005، صفحة 37)، حيث إنه لم يُشر إلى مفهوم الجملة المركبة التي يقصد بها «الجملة التي يكون التركيب الإسنادي فيها متعددًا»(بومعزة، 2005، صفحة 62)، ولم يُشر كذلك إلى مفهوم الجملة البسيطة التي تعدُّ أصغر أشكال الجملة، و«تتضمن علاقة إسناد واحدة، سواء اشتملت على متعلقات بعنصري الإسناد أو بأحدهما أولم تشتمل»(حميدة، 1997، صفحة 149)، إلاّ أننا نجده في الصفحة الرابعة والتسعين بعد المئة من ذات الكتاب يقرُّ أنّ كل تركيب توفر فيه الإسناد هو جملة، فيقول: «وعلاقة الإسناد هي علاقة المبتدأ بالخبر والفعل بفاعله والفعل بنائب فاعله والوصف المتعمد بفاعله أونائب فاعله»(حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 194)، والواضح هنا أن **المصنّف** يشترط ركن الإسناد حتى تتحقق جملية الجملة، كما أنه يذكر ضمنيا المسند والمسند إليه.

6. خاتمة:

بعد أن وصلنا إلى نهاية الدراسة لابد لنا من وقفة نبيّن فيها أهم النتائج:

* يرى المحدثون أنّ دراسة الجملة ذروة سنام البحث اللغوي لما في ذلك من ضروب الكشف عن أسرار الصلات بين التركيب والدّلالة.

* اهتمّ المنهج البنيوي الوصفي بالمادة اللغوية فقط جاعلاً من الدّرس اللساني مجموعة من الخطوات التحليلية لوصف التراكيب اللغوية، ولم يحفل بطرائق التوليد اللغوي، كما أنّه أبدى اهتمامًا ضعيفًا بوظائف المكونات داخل الجملة.

* ركّز تمام حسّان في تحديده للجملة على العلاقات السياقية وعلى مفهوم التعليق.

* لم يشر تمّام حسان إلى مفهوم البساطة والتركيب في الجملة.

7. قائمة المراجع:

1. الاستربادي ,ر .ا .(1996) .*شرح الرضي على الكافية*.جامعة قار يونس، بنغازي .
2. الأنصاري ,ج .ا .(1998) .*مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*.دار الفكر،بيروت.
3. الجرجاني ,أ .ب .(1972) .*الجمل*.(د د)، دمشق.
4. الحديدي ,م .ب .(2016) .*الجملة في الدرس اللغوي العربي الحديث، دار كنوز*، الأردن.
5. الحلواني ,م .خ) .(1983) .*مفهوم الجملة في اللسانيات والنحوالعربي*.مجلة المناهل، العدد26.
6. الزمخشري ,أ .ا .(1999) .*الأنموذج في النحو*. (د د) :(د ب).
7. الزمخشري ,أ .ا .(2004) .*المفصل في علم العربية*، دار عمار للنشر، الأردن.
8. السراج ,أ .ب .(1996) .*الأصول في النحو*.، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
9. السيد ,ع .ا .(2020) .*دراسات في اللسانيات العربية -بنية الجملة -التراكيب النحوية والتداولية -علم النحووعلم المعاني*.، دار ومكتبة حامد للنشر والتوزيع، عمان.
10. المبرد ,أ .ا .(1994) .*المقتضب*، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التراث الإسلامي، القاهرة.
11. المخزومي ,م .(1986) .*في النحوالعربي نقد وتوجيه*.، دار الرائد العربي، بيروت.
12. النهاري ,ع .ا .(2012) .*الجملة في الدرس النحوي*، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد15 (العدد14).
13. أنيس ,إ .(1966) .*من أسرار اللغة*، *مكتبة الأنجلوالمصرية*.القاهرة.
14. بومعزة ,ر .(2005) .*تصنيف الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، الجزائر*.
15. جني ,ا .(1952) .*الخصائص*، دار الكتب المصرية، (د ب).
16. جني ,أ .ا .(1988) .*اللمع في العربية*.، دار مجدلاوي للنشر، عمان.
17. حسان ,ت .(1994) .*اللغة العربية معناها ومبناها*، دار الثقافة، المغرب.
18. حسان ,ت .(2000) .*اللغة بين المعيارية والوصفية*.، عالم الكتب، القاهرة.
19. حسن ,ع .(د ت) .*النحوالوافي*.، دار المعارف، مصر.
20. حميدة ,م .(1997) .*نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية*، الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان ناشرون، مصر، لبنان.

21.دفة ,ب .(2008) .*بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية*، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة.
22.سيبويه ,أ .ب .(1991) .*الكتاب*، *دار الجيل*، بيروت.
23.شنوف ,ن .ع .(2007) .*الجملة الوصفية دراسة نحوية*، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد6.
24.صالح ,ع .ا .(2012) .*بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*.، موفم للنشر، الجزائر.
25.عبادة ,م .إ .(2001) .*الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها*، مكتبة الآداب، القاهرة.
26.قباوة ,ف .ا .(1989) .*إعراب الجمل وأشباه الجمل*، دار القلم العربي، سوريا.
27.موسى ,ع .م .(1992) .*مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين*، *الجامعة الأردنية*، الأردن.
28.يعيش ,م .ا. (د ت)، *شرح المفصل*، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.